النية الخالصة

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، فصلّ الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ...

أما بعد :

إن الإخلاص هو حقيقة الدين ومفتاح دعوة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام قال تعالى: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ** ﴾[البينة: ٥] وقال ﷺ : «**من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة**» والإخلاص يدخل صاحبه في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، ذكر منهم ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تُنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ، ولا شك أن الإخلاص يحتاج إلى مجاهدة النفس الأمارة بالسوء فقد سئل سهل بن عبد الله التستري: أي شيء أشد على النفس؟، قال : الإخلاص لله ، وقال سفيان الثوري : ما عالجت شيئاً أشد علي من نيتي ، إنها تتقلب عليّ . ولا بد من الإخلاص في النية لقول الرسول ﷺ في حديث عمر رضي الله عنه : « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**» .

وكذلك الأعمال لا بد لها من شرطيّ الإخلاص والموافقة لكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ وبدون هذين الشرطين لا يقبل الله الأعمال، قال تعالى: ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾ [الكهف ١١٠].

عملاً صالحا : أي موافقاً لشرع الله ، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً : أي يجب أن يكون خالصاً لله وحده .

الـــريـــــاء :

وقد حذر الله عز وجل من الريا في العبادة فقال سبحانه وتعالى:﴿ **لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ الزمر : ٦٥] .

والرياء يدخل تحت الشرك الأصغر كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر** ،قالوا يا رسول الله :وما الشرك الأصغر؟ ، **قال: الرياء** رواه احمد ، وقد فسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى : ﴿ **فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة:٢٢] . قال : هو الشرك أخفى من دبيب النملة السوداء على صخرة صماء في ليلة ظلماء .

والشرك الخفي يعتبر رياءً وإليكم الدليل :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً قال: «**آلا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيخ الدجال** ، قالوا : بلى ، **قال : الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل إليه**»، وأما عاقبة الرياء في الآخرة فكما قال ﷺ : «**من سمّع سمّع الله به ، ومن رآأى رآأى الله به**» ، وفي يوم القيامة يتبرأ الله من أهل الشرك والريا ء كما ورد في الحديث القدسي : «**أن الله عز وجل يقول : أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه** » ولذلك كان ﷺ عند تلبيته للحج يقول : «**اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة** » .

المخلـــص :

وعليه يجب أن يتخلص المسلم من الرياء والسمعة ،لأن المخلص لله ينجيه الله من الشدائد والكربات في الدنيا والآخرة فلا يخاف أبداً ،لأن نيته مع الله قائمة قال إبراهيم عليه السلام لقومه وهو يحاجهم: ﴿ **وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢)** ﴾ [الأنعام : ٨١ - ٨٢] .

وإن المؤمن الصالح سيكون آمناً يوم القيامة وسيأتي ربه مؤمناً ، والله عز وجل يقول : ﴿ **إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (٧٤) وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ (٧٦)** ﴾ [طه ٧٤ - ٧٦] .

إذن فالمخلص: يجمع الله عز وجل قلوب عباده عليه ، لماذا لأنه سبحانه علم ما في قلبه ونيته ، والله إذا علم من نية عبده خيراً يجمع القلوب على حبه حتى يحبه المنصفون وإن كانوا يختلفون معه في الرأي حيث يقول : « **إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فيقول يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ، ثم ينادي في السماء يا أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبوه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض** » .

حصول الثواب بالنية الحسنة فقط :

إن الله سبحانه وتعالى بفضله وكرمه يكتب الأجر لكل من أخلص نيته لله ، حتى لو لم يعمل من الأعمال شيئاً ، فالذي ينام وفي نيته أن يقوم الليل فتغلبه عيناه فينام حتى يصبح يكتب الله له أجر قيام الليل ، ويكون نومه صدقة من الله

عليه ، ولذلك يقول النبي ﷺ : «**من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء و إن مات على فراشه**» ، وليس كل الذين يقتلون في المعارك شهداء ، ولكن نحن نطلق اسم الشهيد على كل إنسان ، فنقول الشهيد فلان ، الشهيد فلان ، حتى الذين انتحروا نقول الشهيد فلان ، و الذي يقاتل من أجل كرسي نقول له الشهيد فلان، والرسول ﷺ يقول : «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»، ومن الناس من يقاتل في سبيل الله ويكون شهيداً والله أعلم به ، ومن الناس أيضاً من يموت وهو على فراشه ويكون شهيداً كما ورد في الحديث السابق «**من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**» فهذا شهيد بعلمه وجهاده وهذا شهيد بنيته وقصده ، فالشهيد إما أن يموت في أرض المعركة وإما أن يموت على سريره بنيته ، وفي كلا الحالتين قد بلغه الله منازل الشهداء ، وهناك من يبلغ مراتب المجاهدين الذين خرجوا في سبيل الله وهم قاعدون في بيوتهم منعهم العذر ، كما جاء في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كنا مع النبي ﷺ في غزوة فقال:« **إن بالمدينة لرجال ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم المرض**» وفي رواية أخرى « **إلا شركوكم في الأجر**» ، ولهذا فان النبي ﷺ قال:«**إن رجالاً في المدينة** » ، وليس في أرض المعركة وإن أجرهم كأجر المجاهدين في سبيل الله ، فقد نالوا هذه المرتبة العليا مرتبة المجاهدين في سبيل الله بسبب نياتهم الصالحة لأن الله يعلم ما في قلوبهم فأثابهم بحسب نياتهم .

حصول العقاب بالنية السيئة فقط :

وفي المقابل يعاقب الله عز وجل بعض الناس جزاءً على نياتهم السيئة وهم لم يفعلوا شيئاً، يبين ذلك حديث المصطفى ﷺ عندما قال : «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار** ، قالوا يا رسول الله : هذا القاتل فما بال

المقتول ، **قال : إنه كان حريصاً على قتل صاحبه** » ،فإن هذا المقتول كان يريد أن يقتل خصمه لكن الأسباب لم تتوفر لديه فكان جزاءه النار مثل قاتله سواء بسواء، وجاء في مسند الإمام أحمد وسُنن الترمذي من حديث أبي كبشه الأنصاري أن النبي ﷺ قال : «**أحدثكم حديثاً تحفظوه : في الدنيا أربعة نفر أو قال أربعة أصناف ، رجل أعطاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل بعلمه وماله ويصل به رحمه** » يبني به المساجد ويقيم به مدارس التحفيظ والمعاهد الخيرية ويحفر به الآبار وينفقه في سبيل الله ، فهذا في أعلى المنازل ،« **ورجل أعطاه الله علماً ولم يعطه مالاً فيقول : يا ليت لي مثل مال فلان فأعمل به خيراً وأنفقه في سبيل الله فهو في الأجر سواء مع صاحبه الأول** » ، نال ذلك بنيته الحسنة، « **ورجل ثالث آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو لا يتقي الله في ماله** » ، وينفقه فيما يغضب الله أناء الليل وأطراف النهار فهو ينفقه في إقامة الحفلات وفي تشجيع الرقص والراقصات وفي إنشاء المسارح والسينمات وفي نشر الفساد بين العباد ، فهذا في أخبث المنازل يوم القيامة. «**ورجل آخر لم يعطه الله مالاً ولا علماً فيقول لو أن معي مثل فلان فأعمل مثل ما يعمل وأصنع كما يصنع ، فهو في الوزر سواء بسواء مع صاحبه**» نال ذلك بسبب نيته السيئة، وقد أوضح النبي ﷺ هذا الأمر في حديث آخر حيث قال : « **نية المؤمن أبلغ من عمله** » .

الإشراك في النية :

وإن العمل الواحد من شخصين مختلفين يختلف باختلاف نياتهما، مثال ذلك كمن هرع إلى المساجد لحضور الجماعة وإقامة الصلاة ابتغاء مرضات الله، ومن يصلي لكي يري الناس عمله أو يحرز الثناء والمدح، فهل صلاتهما واحدة ؟ ، كلا ، ورجل أخر كان يتصدق لمواساة الفقراء والبائسين وإعانة المنكوبين والتفريج عن المكروبين لا يحمله على ذلك إلا امتثال أمر رب العالمين، أما الآخر فكان

يتصدق ليقال فلان سخي كريم جواد ، فهل يستويان مثلا ؟ كلا والله ، وقد أخبر النبي ﷺ عن أناس يعملون أعمالاً عظيمة في الإسلام فيدخلون النار بديلاً عن الجنة وذلك بسبب خبث نياتهم وفساد قلوبهم ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن أول من تسعر بهم النار ثلاثة من الخلق والبلية أن هؤلاء الثلاثة هم من هذه الأمة الأول قارئ القرآن : يؤتى به يوم القيامة فيعرفه الله بنعمه عليه فيعترف ويقر بها فيقول الله له : ماذا عملت بهذا القرآن فيقول : أي رب ، قرأت فيك القرآن وعلمته للناس فيقول الله له : كذبت ، وتقول الملائكة كذبت إنما قرأت القرآن ليقال قارئ فقد قيل ثم يؤخذ فيطرح في النار ، والرجل الثاني المجاهد : يعرفه الله بنعمه عليه فيعترف ويقر بها فيقول الله له : ماذا عملت فيقول : أي رب ، قاتلت في سبيلك حتى قتلت ، فيقول الله له : كذبت ، وتقول الملائكة كذبت إنما قاتلت ليقال فلان شجاع وقد قيل ثم يؤخذ فيطرح في النار ، والرجل الثالث المتصدق : يؤتى به ويعرفه الله بنعمه عليه فيعترف بذلك ، فيقول الله له : ماذا عملت فيقول : أي رب ، تصدق وأنفقت في سبيلك فيقول الله له : كذبت ، وتقول الملائكة كذبت إنما تصدقت ليقال فلان جواد كريم فقد قيل ثم يؤخذ فيطرح في النار**»، وكان أبو هريرة رضي الله عنه : إذا روى هذا الحديث أمام معاوية يغشى عليه من كثرة البكاء ومصداق هذا قوله تعالى : ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾**﴾ [هود : ١٥ - ١٦] .

أثر الإخلاص في الأعمال :

ولهذا فإن الأعمال الصالحة يجب أن يسبقها نية صالحة،وإلا كانت هباء منثوراً فمثلاً بناء المساجد من أعظم القربات عند الله تعالى فإذا لم تكون النية

خالصة لله عز وجل ، فإن العمل هذا ، يكون وبالاً على صاحبه فقد ثبت في الصحيحين من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : «**من بنى لله بيتاً بنى الله له بيتاً في الجنة** » ، وكذلك الصيام ، يقول عليه الصلاة والسلام : «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر** » ،كذلك الحج يقول عليه الصلاة والسلام : «**من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه** » رواه البخاري ، وكذلك الحب والبغض يجب أن يكون خالصاً لله ، حيث يقول عليه الصلاة والسلام : « **من أحب لله ، وأبغض لله ، ومنع لله ، وأعطى لله ، فقد استكمل مراتب الإيمان** » .

وهكذا جميع الأعمال الصالحة ينبغي ان تلازمها النية الخالصة لله تعالى ، ففي مسند الإمام أحمد وسُنن الترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « **ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر ، ولا ينالهم الحساب وهم على كثبان المسك : رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله ،ورجل ينادي للصلاة ابتغاء وجه الله ، ورجل أحسن ما بينه وبين ربه** ».